

## تيارات الحداثة والنهضة الفكرية في العمارة العربية

د. وليد السيد

تتجلى أهمية التواصل في مختلف صنوف المعرفة والعلم بين الاجيال المتعاقبة في نقل الخبرات المكتسبة والعلوم المتوارثة. وتظل الملازمة والتلمذة المباشرة من الوسائل الأكثر فاعلية في هذا الإطار أكثر مما تفعله الكتب والسبلتين اللتين تعتمدان المعاصرة والمعيشة وبخاصة في المهارات والمواهب ذات الصلة العملية كالصرف اليدوية والمهارات الفنية والصناعات والفنون التي تعتمد تهيؤ الحواس أكثر من تلك التي تعتمد على تنمية المهوية والقدرة الذهنية وحدها.

والعمارة بتعريفها كفن علمي تقع ضمن الفنون التطبيقية التي تعتمد المهوية الفنية والقدرة العقلية على حد سواء، إذ يتطلب العمل المعماري أو التخطيطي مهوية فنية للتعبير عن الأفكار والابداعات المعمارية فيما يتعلق بالعمارة، وتنسيق الحدائق، أو التخطيط، كما يتطلب إضافة إلى ذلك قدرة ذهنية ودراية علمية في جمع مختلف العلوم المتخصصة كالإنشاء والعلوم المتعلقة الأخرى التي تحتاجها المباني لتقوم بدورها الوظيفي. أما في مجالات التخطيط فينبطل المعماري المخطط المأمناً أوسع بمجالات أكثر تخصصاً كعلوم الاجتماع والنقل والسياسة والاقتصاد، كما يتطلب علم تنسيق المواقع إلماماً بامور متعلقة بعلوم النباتات وغيرها. ومن هنا فإنه يتطلب للاتقاء بها (بشقيها العلمي والفني) ونقل الخبرات المكتسبة بها من جيل لأخر هذين الإطارين مجتمعين (ملازمة الرواد من المخططين والمعماريين مع التعليم المباشر لتطوير المواهب الفنية اليدوية واكتساب الخبرات المتوارثة وتنمية القدرة الذهنية على التفكير المبدع الخلاق، إلى جانب نقل المهارات والإطلاع من الجمعية لترشيح الجوائز. ومن خلال مجلتها (معمار) تمت تغطية هذه الحركة النشطة من التعليم وقد شهدت العمارة العربية المعاصرة خلال العقدين الماضيين نشاطاً ملحوظاً في إطار التعليم المعماري تزامن مع تبلور جيل الرواد الأول من معماريي العرب المعاصرين. وما ساعد على تسارع هذه الحركة التعليمية ظهور الهيئات والمؤسسات التي عنيت بشؤون العمارة العربية الإسلامية المعاصرة ومن أبرزها مؤسسة الأغاخان المعمارية الإسلامية التي اهتمت بدعم المؤتمرات التي تطرح قضايا العمارة والتخطيط في العالم الثالث، إضافة إلى تخصيص جوائز دورية تمنح لأبرز الأعمال المعمارية والتخطيطية في العالم العربي والإسلامي، وأهم من ذلك أنها اتخذت من معاهد العلم المتميزة منابر علمية لها مثل جامعات (هارفارد و، م، آي، تي) بامريكا حيث أرسلت البعثات الطلابية مما شجعت الطاقات العلمية لدى الطلبة والجيل المعاصر إضافة إلى افتتاح العلماء في تلك الجامعات والطلاب



المبعوثين على حد سواء على قضايا العمارة والتخطيط في العالم العربي. كما أن مؤسسة الأغاخان عملت على التعريف بشكل واسع النطاق بأعلام العمارة العربية المعاصرة، إذ توجت جهود المعماري حسن فتحي على مدار خمسين سنة بتخصيصه أول رئيس يسود قطاع التعليم المعماري في الوطن العربي من خلال مواضيع دراسة نظريات العمارة الحديثة أو تاريخ التعليم الحديثة النزعاً في تعريف التيارات التالية كإبراهيم ما ساد خلال القرن العشرين (وهي ما تشكلت الخلفية والمناخ الفكري المعماري لجيل الرواد من المعماريين العرب وجيل قطع التعليم، وهذه التسيارات شكلت وتتشكل الفكر المعماري وتعتبر أبرز عوامل الشد والجذب في العمارة العربية المعاصرة، وهذه التيارات هي: اولاً، العمارة الحديثة وقد سادت كتيار وحظرتية تستمد دعائمها من معطيات الثورة التكنولوجية ومعطيات العصر، وتتجلى في الأبنية متعددة الطوابق ولا تعكس هوية ثقافية يعيها، إنما تعتمد الوظيفية كأحد عوامل التصميم الرئيسية بها، ويمكن تبينها في أنماط المباني كالبنايات والمجمعات التجارية وغرف التجارة والإبنية العامة والفنادق وغيرها، وقد ساد هذا النمط المعماري في الغرب مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وانتقل مع مطلع القرن



العشرين إلى العالم العربي على أيدي فئة قليلة من المعماريين الذين كانوا يشكلون التيار المعماري آنذاك، ومعظمهم من معاصر المعماري حسن فتحي وينتمي لنفس الجيل، ومن هؤلاء المعماريين الذين انتشرت مبادئه في الأردن التي تعكس هذا الاتجاه، ولاحقاً برز المعماري جعفر طوقان مع السبعينيات الذي يراوح بين عدة اتجاهات ومن أبرزها هذا الاتجاه من خلال تصميماته

بيروت، وهناك أيضاً دار الهندسة (شاعر ومشاركون) بالقاهرة وبيروت التي تعتمد هذا الاتجاه بشكل رئيس في تصميماتها. ويتميز ديران عن غيره من أصحاب هذا الاتجاه بدقة المعالجات المعمارية والأزنان في التعبير. ثانياً: اتجاه ما يسمى (عمارة ما بعد الحداثة) وهذا الاتجاه انتشر بالعالم العربي مع نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات، ويعتمد إعادة قراءة أصول العمارة

الكلاسيكية أحياناً مع مزيج من التكنولوجيا والعقلانية. ويشاهد في مختلف أنماط المباني السكنية منها والعمامة. ويلاحظ في هذا الاتجاه استخدام الألوان والمواد الحديثة بمهارة عالية مع الدقة في التحكم بالنسب والحجوم. ويتنشر هذا الاتجاه في معظم المباني الحديثة على طول امتداد الوطن العربي.

ثالثاً: (الاتجاه العقلاني) وهو يعيد إلى الكلاسيكية أحياناً في بعض جوانبه كالحذر في استخدام المواد الحديثة. ويعتمد استخدام الحذر الواعي للحجوم والألوان والميل للهندسة المستوية مع التوازن الوظيفي أكثر من الاتجاهات الأخرى مع عدم انفصال النواحي الجمالية والبساطة في التكوين. رابعاً اتجاه ما يسمى عمارة (دكستر كشن) أو يمكن إطلاق كلمة (التفكيكية) على هذا الاتجاه، واحد أبرز رواه المعمارية زها حديد من العراق. ويغلب على هذا النوع من العمارة النواحي الفنية التشكيلية أكثر مما تعكسه العمارة الناتجة من الاتجاهات الأخرى. وأحياناً يغلب التجريد واستخدام المواد الحديثة والزوايا المختلفة ضمن نفس العمل المعماري الواحد. خامساً: الاتجاه الترانزي، وهذا الاتجاه يضم الأغلبية الغالبة من رواد المعماريين، وينطلق من هذا الاتجاه مجموعة تيارات كالحلجية والأقليمية والانتقائية السورية التي يصفها المعماري عبد الواحد الوكيل من ضمنها وغيرهم.

وقد شكلت هذه التيارات أبرز ما ساد وشكل المناخ والبيئة الفكرية التي تبلور بها الجيل التالي لجيل الرواد، وهو ما نقصد به جيل التعليم المعماري المعاصر. النظرة العقلية للعمارة العربية المعاصرة تبنين وجود أقطاب فكرية رئيسية على الخريطة العربية، أولهما بمصر حيث حسن فتحي (حتى أواخر الثمانينيات)، وعبد الحليم إبراهيم حالياً، والأخرى بالاردن حيث راسم بدران وغيره من رواد الاتجاهات المختلفة. بيد أن مسجلات التفاعل بين هذه الطروحات الفكرية على أرض الواقع تتمحور في دول الخليج العربي الأخذ بالنمسا والتبلور بشكل متسارع مع نهاية القرن الماضي من حيث الفكر المعماري وفكر وتطبيقاً. ولعل من عاصر حسن فتحي وتعلم على يديه أو تأثر بفكره وأسلوبه كخضير، وكذا الحال بالنسبة لعبد الحليم إبراهيم ورأسم بدران وغيرهم. أما أحد أبرز الأقطاب الفكرية المعمارية في المملكة السعودية فيتمثل بمكتب البيئة السعودي والناشط في التعليم، وتكاتف ما تخصصت عنه الحركة التعليمية من ناحية، والنشاط الفكري والتطبيقي لجيل الرواد، فسقطت برزت مع مطلع التسعينيات ثمة مجموعة من المعماريين الذين يمكن تمييزهم كاسلوب وكهوية فنية وذهنية، وهم ممن لازم رواد المعماريين وعاصر بعضهم واطلع على فكرهم وتطبيقاتهم، ويمكن أن يشكل ظاهرة معمارية فنية وعملية ان توفرت الظروف الملائمة.

## مراجعة كتاب .....

(مجلد : البيت)

"The House Book"

By: Peter Andrews et al (Editors)  
Publisher: Phaidon Press Limited - London 2001

لوتار - لندن

هذا الكتاب يعد الأول من نوعه من حيث طريقة تقديمه للمادة البحثية موضوع الكتاب، وكذلك من حيث شموليته للموضوع بما يضعه ضمن أفضل الكتب الموسوعية التي طرقت موضوع البيت. فمن حيث طرقه للموضوع، يقدم الكتاب مسرداً فهرسياً للبيت على مختلف الثقافات والفترات الزمنية المختلفة أغلبها من القرن العشرين وذلك مرتبة حسب التسلسل الهجائي الأبجدي. فقد خصصت كل صفحة من صفحاته التي تجاوزت الخمسمائة من القطع الكبير لبيت واحد، وتتبع أسس التصنيف الهجائي أما حسب المعماري المصمم أو المالك أو أحياناً اسم المنطقة أو الفئة الاجتماعية التي يتبع لها البيت كقبيلة (البيابل). أما من حيث شمولية الكتاب للموضوع، فلا يكاد الكتاب يترك بيتاً من أي من بيوت المعماريين العرب أو العالميين المعروفة، أو ثقافة من الثقافات ولم يتطرق إليها. كذلك ما يتميز به الكتاب هو سهولة ويسر إيجاد المادة التي يبحث عنها القارئ، إذ تكفي معرفة اسم المعماري المصمم مثلاً لتتبع ما يريد القارئ، حيث يقدم الكتاب صورة رئيسية للبيت بالألوان وبنوعية عالية، كذلك يقدم معلومات موجزة عن البيت والمصمم والمكان الذي يقع به البيت في العالم، إضافة إلى تاريخ البناء أو التصميم. فمثلاً من يريد البحث عن أحد تصميمات العرب المعماريين مثل حسن البارزين تحت الحرف F فتحي مثلاً، عليه أن يبحث تحت الحرف F وهو الحرف الأول من اسمه الأخير، وهنا يقدم الكتاب تحت هذا الاسم في الصفحة ١٢٤ بيت حامد سعيد وصورة نادرة ملونة للفناء الوسطي للبيت، بالإضافة إلى ملخص حول البيت وفلسفة

حسن فتحي المعمارية وراء التصميم وفكرة البناء والمالك حامد سعيد. أما في أسفل الصفحة فيجد القارئ سطرًا يلخص معلومات عن العنوان الرئيس للصفحة (في هذه الحالة حسن فتحي) حيث يقدم تاريخ ومكان ميلاد المعماري ومعلومات عن البيت ومكانه بشكل ملخص ومفيد. كذلك يجد القارئ في نهاية النص مقترحاً للنظر إلى بيوت مشابهة ضمن الكتاب، حيث يطالع القارئ مؤشراً للنظر تحت الحرف B لاسم (جفري باوا) نظراً لطبيعة التشابه في التكوين أو الفكر البيئي (أو المناخي، كذلك يشير إلى E لاسم الوكيل كذاك (إدم / سداد حقي من تركيا) وغيرهم. وهكذا يفيد القارئ من هذه المعلومات المفهومة من ناحية وكذلك في الربط بين المعلومات المختلفة عبر صفحات الكتاب. ومعلوم أن هذه المعلومات التي يقدمها الكتاب هي أولية كونه أشبه ما يكون بالقاموس أو الأطلس، إنما هي شمولية وملخصة لأكثر من خمسمائة بيت مشهور حول العالم. كذلك ينهي الكتاب بتقديم فهرسا لتعريف المصطلحات الواردة بالكتاب.

هذا الكتاب مفيد للمعماريين من طلاب وأكاديميين، إضافة لمن له اهتمام بالعمارة والفنون بشكل عام. كما يشكل كتاباً جيداً للاقتناء وضمه إلى مكتبة المثقف ويفيد القارئ غير المتخصص لما يشكله البيت من أهمية في حياتنا للتعرف على الأفكار المختلفة لتصميم البيوت عبر الثقافات المختلفة.

## من بدائع التراث

لوتار - لندن

تمثل قبة الصخرة المشرفة بمدينة القدس معلماً معمارياً بارزاً قلما يخلو كتاب من كتب تاريخ العمارة من وصف شامل لها، ويمثل البناء الذي تحيط به ساحات ومنطقة الحرم الشريف الذي يوجد عليه بالإضافة لقبية الصخرة المسجد الأقصى المبارك. وتمثل هذه المنطقة في التاريخ الإسلامي مداراً للعديد من الأحداث المهمة ابتداء من الإسراء بالرسول الكريم ومن ثم المعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء، يضاف إلى ذلك أن بيت المقدس كان القبلة الأولى للمسلمين، وشهدت هذه المنطقة دخول عمر بن الخطاب فاتحاً ليستسلم مفتاح مدينة القدس ومن ثم إعطائه العهد فيما عرف بالعهد العبرية. جميع هذه الأحداث وغيرها مما تلت في التاريخ الإسلامي حدثت بعهد الملك بن مروان في العام ٦٨٦ للميلاد لاشروع بإنشاء ما يعرف اليوم بقبة الصخرة وتم الانتهاء من البناء مع مطلع العام ٦٩٢ ميلادية.

ويمثل المسقط الأفقي للبناء هندسة مستوية محضفة إذ يشكل المسقط الأفقي للقبية ممتناً وهو نتاج دوران مربعين متطابقين بزوايا ٤٥ درجة، والنقاط الثمانية الداخلية الناتجة عن دوران الشكلين الهندسيين تحدد بالنقاط الأربع التي ترتكز عليها القبة. كما تنقسم الدائرة الناتجة الداخلية إلى ثمانية نقاط تتبع هندسياً المربعين الأصليين اللذين أنتج دورانهما الشكل الأساسي للمبنى. أما الوسط فتوجد به الصخرة التي تروي الروايات التاريخية أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء. أما التكتسات الخارجية للمبنى فقد تطلت في الرخام الذي يغطي حتى ارتفاع الشبائيك، فيما تمت إضافة تكتسات من الأعلى في الفترة العثمانية في القرن السادس عشر. أما النقوش على الرخام والمزاياك فتمثل زخارف ونقوش إبائية فضائية إلى آيات من القرآن الكريم من سورة الإسراء. أما القبة ذاتها فيختلف شكلها الداخلي عن خارجها إذ أن المقطع يبين قبتين الداخليتين متماثلتين للقبية الشكل وقد نقش عليها من الداخل حول قاعدتها خطوط بدئية من خط الثلث تسطر تاريخ البناء. وفي الإطار الداخلي الأصغر نماذج من القرآن الكريم. كما تغطي الأسطح الداخلية لقبة الصخرة من الداخل بالرخام والأعمال الخشبية ذات التفاصيل الدقيقة والأقاريز والألوان المدروسة بعناية. كذلك تغطي الفتحات بالزجاج الملون بما يعرف في العمارة العربية الإسلامية بالقرينات.

ويقع بالقرب من قبة الصخرة قبة صغيرة مشابهة إلا أنها أصغر حجماً بكثير حيث يعتقد أنها كانت بمثابة نموذج مصغر قبل الشروع في بناء القبة الكبيرة. كما يعلى البناء فوق مصطبة ترتب ضمن منطقة الحرم الشريف ويتم الوصول إليها بمجموعات من الدرج ومن خلال مجموعة القواس تصطف أعلى إحدى مجموعات الدرج هذه. كما يشكل منظر القبة للمناظر إليها من على جبل الزيتون مجالاً للتأمل واستذكار الماضي المجيد أيام كانت المدينة ككل والقبة بخاصة تحت حكم العرب المسلمين على مدى التاريخ الإسلامي بدلا مما تعاني منه اليوم من صراع وتغريب ثقافي استعماري دخيل.

## العمارة البيئية في الخليج العربي

العمارة والفنون النظرية في العالم العربي والإسلامي

لوتار - صنعاء



الطينية المخلوطة بالخش والتى كان لا بد من صيانتها بين فترة وأخرى، أما من الخارج فقد حددت المواد المستعملة بطبيعة وشكل الفتحات المعمارية كالأبواب والشبائيك، حيث لم يكن بالإمكان استعمال البحور العريضة للفتحات، إنما كانت قليلة العرض لسببين: أولهما لامكانية التحميل أعلى الفتحة واستمرارية الجدار الحامل، والثاني لنواح مناخية في عدم تعريض الداخل لكميات اشعاع حراري عالية وحفظ درجة الحرارة المنخفضة بالداخل.

أما الناتج النهائي للمبنى فلم يخل من الجمال الطبيعي الذي يرافق البساطة، فكانت المباني الطينية مستوحاة مع عناصر الطبيعة والنباتات المحيطة، وكان اللون البني الطيني يعلن وكان المبنى قد ظهر من الطبيعة المحيطة ولم يفرض نفسه عليها، ولم يمنع ذلك من أن يقوم سكان هذه البيوت والمباني التقليدية التي تراعى البيئة المحيطة من أن يستعملوا الألوان البسيطة على الأبواب والشبائيك الخشبية، وأظهار أبعادهم الفنية اللونية على طريقتهم الخاصة. ويبدو أن هذا النمط المعماري الفطرية تعكس أكثر من مجرد أنماط بنائية أو أعراف بنائية، إنما تعكس سلوكيات اجتماعية، وفطرة بسيطة أقرب منها للطبيعة مما قد تكون المدنية والمدنية جلبت لسكانها في وقتنا الحاضر.

تتميز معظم المدن التقليدية في دول الخليج العربي بنمطية عمرانية متميزة أبرز مظاهرها الاعتماد على البيئة المحيطة في التكوينات البنائية كمواد وكأساليب بنائية.

ومن ذلك أن وسط المدن القديمة كوسط مدينة الرياض القديمة، أو الكويت أو البحرين أو عمان وبخاصة اليمن وحضرموت قد اعتمدت الأساليب البنائية والإنشائية بها على عناصر طبيعية إنشائية كالخجر أو الطين الذي يتم خلطه بالخش لزيادة تماسكه. ولم تكن هذه الأساليب وليدة الصدفة المحضة، إنما توارثت هذه الأعراف والخبرات البنائية عبر السنين ومن خلال الاجيال المتعاقبة، حيث تثبت هذه المواد الإنشائية مقاومة لعناصر الطبيعة المناخية، وتلطيف درجات الحرارة العالية.

وقد لعبت هذه المواد الإنشائية الطبيعية دوراً أساسياً في طبيعة التشكيل العمراني من داخل المبنى وخارجه، فمن داخل المبنى كان لهذه المواد دور في تحديد أبعاد الفراغات الداخلية نظراً للحاجة إلى التهوية بما يناسب المواد المستعملة وغالباً ما كانت القطع الخشبية العرضية التي تضفيها سعف النخيل كهيكلي أساسي، ومن ثم يضاف لها المواد

